رؤية رضوان السيد لأهل السنة والجماعة في لبنان ومستقبلهم

إعداد

أ.د.مسفر بن علي القحطاني

جامعة الملك فهد للبترول والمعادن

الظهران. المملكة العربية السعودية

مقدمة:

يعتبر المفكر الدكتور رضـوان السـيد من أهم أعلام الفكر المعاصـر في نظرياته المعرفية وانتاجه الغزير، وهذه الورقة تحاول التركيز على موضـوع من موضـوعاته التي اشـتغل عليها في كتاباته البحثية (مؤلفات وترجمات) ومقالاته الصـــحفية المتعددة، ومقارباته وترجماته للكثير من الأطروحات الفكرية العالمية، وهذا الاهتمام بمفكر كبير كالدكتور رضـــوان؛ يحقق لنا أكثر من مقصد، أولا: أن الأمة العربية باتت تعاني من ندرة المفكرين الكبار أصحاب المشاريع المعرفية المتميزة، وفي محاولة الاهتمام بفكرهم يتم تسليط الضوء على منتجهم المعرفي لمزيد من الاقبال والاهتمام به.

ثانيا: المفكرين الكبار في الأمة العربية، ربما تعزز الاهتمام بإنتاجهم في المراكز والجامعات الغربية أكثر من حقولنا المعرفية في داخل بلادنا العربية، لذلك نحتاج أن نغري المؤســســـات الاكاديمية والثقافية في الاهتمام بأطروحات المفكرين العرب وزيادة عقد الورش والمنتديات التي تناقش أفكارهم لأجل إصلاح الوضع العربي المتردي حاليا.

وفي هذه الورقة محاولة لإشـعال شمعة ضـوء حول انتاج المفكر الكبير رضـوان السـيد. أتمنى أن تكون مفتاحا لكثير من الدراسات والأبحاث حول مشاريعه الفكرية المتعددة.

المطلب الأول: صعوبة البحث في رؤية رضوان السيد.

الدكتور رضـوان السـيد من أعلام الفكر والثقافة في عالمنا العربي والإسـلامي ، وعندما يحاول البـاحـث الاطلاع على انتـاجـه الفكري الغزير فـإنـه أمـام كم هـائـل من الكتـب والأبحـاث والترجمات ،ما يجعل الباحث في جزئية محددة من فكره أن يقع في ورطة هذا العدد الكبير من

النتاج العلمي، فله أكثر من ثلاثين كتابا وترجمة ، وأكثر من تسعين بحثا علميا منشورا في دوريات متنوعة ،بالإضافة لإشرافه على أعمال كثيرة ومقالات مستمرة لم تتوقف من عقود .[1]

يُضاف إلى ذلك سببان آخران يتعلقان بموضوع هذه الورقة:

أ.طبيعة البيئة اللبنانية المتقلبة وسرعة تغير الظروف داخل لبنان، ما يعني متابعة دقيقة لاختلاف المواقف و اختلال موازين القوى والتوجهات الفكرية في هذا القطر الصغير في حجمه الكبير في تفاعلاته وصراعاته ، لذلك لا يمكن قراءة مقال أو دراسة للدكتور رضوان بعيدا عن ظروفه التي انتجته والمتغيرات التي ولّدت بعض هذه الأفكار، وهذا يشكّل عقبة أخرى.

ب. الدكتور رضوان له محبوه الكثر، وكذلك له ناقدوه المتكاثرون، والباحث في هذا الموضوع الحيوي الواقعي لأجل معرفة رؤيته، يود أن يسمع الطرفين ليخرج بتصور أقرب لرؤيته فبعضها كان نتاج سجال وجدال لم تُرفع فيه بعد راية الاستسلام.

يبقى أن أؤكد أن قراءة الدكتور رضوان السيد للواقع اللبناني كانت دائما قراءة من فوق، بمعنى نظر من أعلى للساحة من كل جهاتها الداخلية والخارجية، كما أنها نظرة تتعالى عن المصالح الحزبية والآنية، فهو ينظر لمصلحة لبنان ويجعلها فوق كل التجاذبات التي تشتعل دائما في الساحة اللبنانية.

ولنأخذ على ذلك مثلا من مقاله العميق الذي جاء بعد انتخاب الرئيس عون والبرلمان والحكومة، وحاول التأكيد على أساس المشكلة اللبنانية وأساس الحل الجذري لها:" يعاني لبنان في عهد الرئيس عون، وسطوة "حزب الله"، من عزلة قاسية ما عرف مثلها في تاريخه المضطرب، وحروبه الأهلية، وغزوات إسرائيل له. وقد كان هناك رأي يقول إنّ انتخاب رئيسٍ للبلاد، ولو كان حليفاً لـ"حزب الله"، أفضل من الفراغ. لأنّ الفراغ في المنصب السامي يتحول إلى أزمة للنظام السياسي، فتعلو الدعوات للتغيير الذي قد يفكِّكُ لبنان. لكن الرئيس

[1] انظر ترجمته :في موقعه الشخصي .ridwanalsayyid.com

«القويَّ» ما غيَّر كثيراً؛ بل حدثت ارتكاســـاتٌ على عدة صُـــعُدٍ ما كانت جارية حتى في حـالات الفراغ الرئاســـي أو الحكومي. وأكبرُ الأدلة على ذلك إعلانُ الأمين العام للأُمم المتحدة غوتيريش أمام مجلس الأمن بمناسبة صـدور التقرير نصـف السـنوي عن مدى إنفاذ القرار الدولي رقم 1701. إذْ جاءت فيه نقطتان بارزتان: القول إنّ وجود الحزب وسلاحه لا يحول فقط دون إنفاذ القرار الدولي، بل ويمنعُ قيامَ دولة في لبنان! أما النقطة الأُخرى فتدعو اللبنانيين إلى تشـــكيل حكومة توافُقٍ وطني بســـرعة، لتجنب التداعيات المفزعة على كيان البلاد، وعلى اقتصـادها واسـتقرارها! فلنتصـور مدى عمق الأزمة التي نحن فيها بحيث يرجونا الأمين العام أن نشـــكّل حكومة ليبقى هناك شـــاهدٌ على وجود دولة في لبنان، غير دولة "حزب الله"! لقد كان هناك رأي شـــاركت فيه الولايات المتحدة ودول أوروبية أنه مهما كان قانون الانتخابات المشـتَرَع سـيئاً؛ فإنّ إجراء الانتخابات سـيغيّر الوضـع إلى الأفضـل، لأنّ الاقتراع ملح الديمقراطية(!). وها نحن نرى أنّ الانتخابات النيابية – شـــأنها في ذلك شـــأن انتخاب الرئيس القوي – زادت الأوضـــاع ســـوءاً وتردياً. ووســـط تغير الأوضـــاع الإقليمية، واســـتخدام إيران للحزب في حروب المنطقة، والتناحُر داخل الطوائف وفيما بينها، والتردي الكبير للأوضاع الاقتصادية والمالية؛ فإنّ أزمة النظام بلغت حدوداً غير مسبوقة.

ما الذي ينبغي فعله؟ الذي ينبغي فعلُهُ هو الدفاع عن الجمهورية، والنهوض لصون الدولة من طريق صَون الطائف والدستور. في عام 2005، تاريخ اغتيال الرئيس رفيق الحريري، قام نهوضٌ وطني أخرج العسكر السوري، وجمع صفوف اللبنانيين الذين انصرفوا أو حاولوا استعادة الاستقلال واستعادة الدولة. ورغم أنّ الحزب وأنصاره أقفلوا المجلس النيابي لأكثر من عامٍ ونصف لأنّ الأكثرية فيه ما كانت لصالحهم، ورغم احتلال الحزب لبيروت عام 2008 بالسلاح، ورغم تحالف الجنرال عون مع الحزب ضد الطائف والدستور؛ فإن المناعة التي ولَّدَها النهوض العام، حالت دون التصرف العلني ضد دستور الطائف، أما الآن فلا يمكن العمل من داخل المجلس النيابي لإحقاق دولة القانون. ولذلك فإنّ الأملَ أن يظلَّ ممكناً استنهاض المثقفين اللبنانيين وجمعيات المجتمع المدني، والشخصيات اللبنانية العامة غير

المشاركة في التسوية التي جاءت بالعهد وحكومته الأولى وقانون الانتخابات المعوجّ وانتخابات الطوائف، وشرعنة الفساد من أوسع أبوابه. ويمكن الإفادة في ذلك من الترديات التي لم تعد مقبولة ولا معقولة، ومن الوعي المتزايد في أوساط الشباب أنّ استمرار هذه الحالة من المحال. فقد نالت الأزمة المتفاقمة من استقرار معظم اللبنانيين ومن عيشهم. فالوضع خطير، والاستخذاء للواقع أخطر. وهناك فريقٌ بالطبع بين نهوض الاختيار، ونهوض الضرورة، لكنْ إذا كان هذا هو الممكن الآن، فيجب اجتراحه:

إذا لم يكن إلاّ الأسنة مركباً

فما حيلة المضطر إلاّ ركوبها"[2]

اعتقد ان هذا النص الذي كتبه الدكتور رضوان في 2018 لا يزال حيا في جدواه وأساسا لاجتماع اللبنانيين؛ رغم كل الأحداث الساخنة والأزمات الاقتصادية التي جاءت بعد هذا الطرح المحافظ على الدولة والدستور.

[2] نشر في الشرق الأوسط في 27 يوليو 2018 م رقم العدد .14486.

ثانيا: رؤيته لمستقبل الإسلام السني.

لتناول هذا الموضوع لابد من محددات :

- التركيز على أحداث القرن العشرين وما بعده ومآلاتها المستقبلية.
- التركيز على مضامين أهل السنة والجماعة تاريخيا ومقارنة مع الواقع المعاصر.

ولأجل توضيح العنصر الأول : فإن الدكتور رضوان رصد في مقاله المثير :الحملة على الإسلام.. والحملة على العرب[3]، خطرين واقعيين وآنيين وممتدين في المستقبل ، وهما خطر الإسلام المتشدد والتكفيري ، والثاني خطر الفكر التنويري ، ولعل الثاني هو ما أثار جدلا واسعا وهجوم عنيفا على الدكتور رضوان ، والسؤال : هل كان هناك خطر يراه الدكتور رضوان من التنوير العربي على مستقبل أهل السنة ؟ وللجواب على ذلك، أحاول تقريره من مقاله بذكر أهم التخوفات التي رآه الدكتور رضوان من خلال النقاط التالية:

- يرى الدكتور رضوان إنّ معظم الحاملين على التشدد والغلو من التنويريين ؛ بأنهم لا يتعاطون مع تصرفات هؤلاء وأولئك إلاّ في خاتمة مقالاتهم أو بحوثهم العلمية العميقة جدا. أمّا جوهر هذه الأُطروحات الضخمة، فهو الحملةُ على إسلام العصر الوسيط، أو الأرثوذكسية السنية، أو التقليد الأسود والجامد، أو بصراحة الإسلام السني. فهو يرى أن هناك استهداف مقصود للسنة ومغلف بالحرب على الإرهاب والتشدد !
- يرى كذلك أن هناك شخصيات تنويرية كمحمد أركون وعبدالمجيد الشرفي لديهم نقمة مع التقليد السني ، ولكنه في الحقيقة تصفية حسابات مع الإسلام السني القديم (من القرآن وإلى محمد عبده) بحجتين: التقليد المتجمد، والأُصوليات القائمة اليوم على ذلك التقليد.

[3] نشر في الشرق الأوسط في 18 أبريل 2014 العدد 12925.

- يذكر الدكتور رضوان أن لديه تتبع لهذه المعركة المفتعلة ضد أهل السنة، وأنه رجع إلى 17 كتابا كلّها صادرة بعد عام 2010 همُّها تحرير العرب والمسلمين من الإسلام السني على وجه الخصوص، بحجة صدور الجهاديين والإخوان منه وعنه.
- ذكر بكل صراحة خطر الحركات السياسية الشيعية على الوجود السني، وتأسف كثيرا أن يقوم كتّاب عرب يدّعون التنوير والتحرير والإصلاح بذات الحملة التي يقوم بها الشيعة في سوريا والعراق ويقول ما نصه:"فلستُ أدري ما هي مصلحةُ الكاتبين العرب في الحملة على الدين بحجة الإصلاح، وقد كان بوسعهم إذا شاءوا أن يكافحوا الأصوليات والشموليات مباشرةً، ودونما حاجة لإثبات "سنية" هؤلاء أولا، ثم الحملة على أهل السنة منذ كانوا، وهم اليوم 90 في المائة من المسلمين في العالم!"
- شخّص الدكتور رضوان أن الهجمة اليوم على السنة والعرب منظمة من قِبل هؤلاء الكتّاب الذين يدعون التنوير وفي حقيقتهم مع معسكر المواجهة لأكثر من 90% من المسلمين، يقول :" لا أعرف – إلا فيما ندر- قوميا أو بعثيا أو يساريا إلاّ وهو اليوم مع بشار الأسد وخامنئي ونصر الله والمالكي. ويضاف لذلك المعسكر المصري الذي لا يمكن تصنيفه سابقا ولا لاحقا. وهذا المعسكر الكاره للعرب في مصر وسوريا ولبنان والأردن والعراق ما صار مع بشار وإيران عندما ظهر العنيفون في سوريا مثلا، بل هو منذ بداية الثورة في سوريا على هذا الموقف. وبعض هؤلاء طائفيون بالفعل – كما يحب طرابيشي أن يسمي كل خصومه الفكريين ومنهم محمد عابد الجابري – بمعنى أنهم من مجتمعات شيعية أو علوية أو مسيحية؛ لكن منهم أُناسا من أُصول عربية سنية، وهم يتشرفون بزيارة الأسد أو أحد مسؤولي حزب الله أو يذهبون إلى طهران، دوريا. وإذا دقّقت معهم ناحوا على صدام، كأنما إيران كانت أصدق أصدقائه، أو قالوا إنهم منزعجون لتفكيك جيش الممانعة السوري، كأنما هو يتفكك في مواجهة إسرائيل وليس في مواجهة شعبه!" ثم يذكر أن السنة والعرب اليوم كالقابضين على الجمر .

إذاً هناك تشـخيص عام ظهر في هذا المقال صـراحةً، وفي غيره إشـارة أن السـنة مسـتقبلهم مخيف ومروع في ظل تلك الهجمات المليشياتية الشيعية الصريحة على السنة، والأكثر إثارة أن هناك جيشـا آخر من الكتّاب لا يقل هجوما؛ يأتي من أصـحاب التيارات العقلانية والتنويرية كما ذكر.

و اظن أن الدكتور رضـــوان من حيث أولويات العداء لأهل الســـنة يرى حركات التشـــيع السياسية من الخارج والمتشددون الحركيون من الداخل؛ هم الأخطر على وحدة لبنان والعرب، ولكن إدخال عنصر التنويرين العرب من خلال عدد من أسمائهم كان أمرا جديدا في التحدي السني الداخلي ،وهو ما آثار عاصفة من الردود والمناقشات .

وفي مقال آخر كتب الدكتور رضـــوان توصـــيفا قريبا مما ســـبق يذكر أهم التحديات الواقعية والمسـتقبلية أيضـا لأهل السـنة ولخصّـها في ثلاثة جهات :" نُعاني نحن المسـلمين في الحقبة المعاصـرة من مشـكلة ذات ثلاث شُـعَب: شـعبة التشـدد والتطرف، التي وصـلت إلى حدود الانشقاق بحيث صار الصراع داخليا، أي بداخل الإسلام نفسِه. وهكذا يكون على كلّ منا وهو يجاهد نفســه من أجل الســكينة في أُسْــرته ومجتمعه ودولته، أن يمتحن دخيلته وأفكاره وتصرفاته كلّ يومٍ، وهو يشهد عصائب التطرف باسم الدين تتحدى أولَ ما تتحدّى ما يعرفه وتربّى عليه دينا وأخلاقا وجماعة وإجماعات. والشـعبة الثانية شـعبة الفتنة. وهي آتية هذه المرة أيضا من داخل الدين. ففي الوقت الذي يهجُمُ عليه المتشددون والمتطرفون بحجة أنهم يعرفون من الدين ما لا نعرف، يقول لنا الإيرانيون وأعوانهم إنهم إنما يهجمون علينا لأننا مكفّرة ولأننا نتجاهل حقوق أهل البيت ومزاراتهم. ثم نجدهم لا يكافحون المتطرفين معنا، بل يعملون على شـرذمة المجتمعات والدول باسـم حقوق المذهب والطائفة. والشـعبة الثالثة هي الشـعبة الدولية أو العالمية، وهي التي أفادت من ذاك التطرف واستعملته في الثمانينات والتسعينات من القرن

الماضي، ثم ها هي الآن وقد استعصى عليها المتطرفون هؤلاء تستعين عليهم تارة بأهل الفتنة، وطورا بأهل الاستبداد والطغيان."[4]

أما العنصر الثاني في اطروحات الدكتور رضوان حول أهل السنة ومستقبلهم، فقد جاء من خلال نقده العميق للمضامين العقدية والفكرية لكثير مما جاء في التراث السني، واطروحاته في ذلك كثيرة ومتنوعة، ولعلي أجمل أهم مضامين نقده للفكر السني من خلال مفهومين:

الأول : الخلل في مفهوم السنة . ويحدده في جهتين رئيسيتين: الأشاعرة والسلفيون .

فيرى الدكتور رضوان أن سائر المثقفين العصريين قد انصرفوا، متديِّنين وغير متديّنين، عن الأشعرية باعتبار عدم تلاؤمها مع الظروف الحاضرة. ويرى أنها تتضاءلُ أي الأشعرية وتختفي بدون تفكيرٍ كثيرٍ في الإصلاح والتجديد أو البدائل. وتسودُ في الأجواء تشرذماتٌ ناجمة عن التجويف المزدوج للأشعرية، والحقُّ أنّ الأشعريةَ ما وجدت في المائة عامٍ الأخيرة من ينصرفُ للتفكير فيها ومراجعتها، ودراسة إمكانيات تجديدها أو إصلاحها، بحيث ما أمكن لها بحالتها الكلاسيكية المتأخّرة أن تُرضي قطعيات المتشدّدين، ولا ليبراليات التحديثيين.[5]

طبعا يعتبر الدكتور رضوان الأشاعرة من أهل السنة بخلاف نظرة الكثير من السلفيين، ويبدو أن دعوته لاعتبار دورهم محوريا في مجتمعاتنا اليوم، كونهم من حافظ على المدارس التقليدية في مقابل الاحيائية الصلبة التي شملت حاكمية عقائدية على الدولة والشريعة والدين والدنيا دون فرق في التشريع والتسليم، كما أن غياب الدور الأشعري في الإصلاح انعكس أيضا على جملة من الإشكالات في مفاهيم الدولة والمجتمع والجماعة، ويمكن كذلك اعتبار الحاجة للأشعرية في أمرين آخرين:

---

[4] انظر : صون الدين في زمن الفتنة والمحنة 22 اغسطس 2014 العدد 13051 الشرق الأوسط

[5] انظر :مقاله أهل السنة والجماعة: نظرة في التحولات ،14 يونيو 2008 العدد 10791 الشرق الأوسط.

أ. ان الأشـــاعرة يوسّـــعون دائرة الانتماء للأمة برفض التكفير في الفروع وبالتأويل والعمل، فهم يعتبرون أهل القبلة مســـلمين على اختلاف مذاهب العقدية في الجزئيات.

ب. صـياغة الأشـاعرة منهج مكتمل يجمع الأمة في عقيدة مشـتركة بعيدة عن محاولة الحداثة التقويضية والسلفية التكفيرية. [6].

والخلل الثاني: في مفهوم الجماعة. ويحدد فئتين رئيســـيتين: الحركيون (الإســـلام السياسي) والثوريون الجهاديون.

ولا أريد الدخول في هذين الأمرين لأنها تحتاج ورقة أخرى مفردة في هذا الموضـــوع الهام، ولكن اكتفي بتعليق للدكتور رضوان على قاسم مشترك بين الاثنين وهو ما عبّر عنه بالسلفية الجديدة، حيث يقول:" إنّ المشكلةَ مع السلفية "الجديدة" أنها ما تزالُ تُحاولُ حلَّ سائر القضايا الحديثة والطارئة بمناهج قديمة وتأصيلية، الذي ما عاد مفيداً لا في مجال العلائق بين فئات المسلمين، ولا في العلاقة بالثقافات والديانات الأُخرى. لكنّ السلفية غير القادرة على استيعاب المستجدات في الرؤية والنظرية وبعض وجوه السلوك والتصرف، ما شكّلتْ انقساماً داخل أهل السنة حتّى في صيغتها الثورية ذات الطابع المأزقي مع الداخل والخارج."[7].

واعتقد أن ما كتبه الدكتور رضوان حول الجماعة الدولة والمجتمع في التراث الإسلامي وفي أكثر من كتاب، هي من أهم المحاولات الفكرية وأعمقها في عصـرنا، في تفكيك بنية الثورة والافتراق والتقليد والاستبداد، من خلال دراسة عدد من النماذج التاريخية وفهم السياق الديني والسياسي في وقوع تلك الإشكالات المزمنة.

---

[6] انظر : كتاب الدكتور رضوان ، الجماعة والمجتمع والدولة ، ص 231-268 ، وكذلك كتاب الدين والسياسة والأخلاق ،للسيد ولد أباه ، دار جداول 2014م ص 55.

[7] مقاله أهل السنة والجماعة: نظرة في التحولات ،14 يونيو 2008 العدد 10791 الشرق الأوسط.

ثالثا: رؤيته لمستقبل أهل السنة والجماعة في لبنان

مستقبل لبنان وفق التقسيمات الطائفية من أعقد المسائل وأكثرها إشكالية، وحصل لأجل ذلك توترات لا يمكن ان تنتهي إلا في صيغة ديمقراطية ونظام علماني، ويكفي هذا الطرح استفزازا لعدد من التيارات الدينية الإحيائية داخل لبنان، لهذا يعيش لبنان مرجل متوقد بل؛ بركان خامد ينفجر في بعض المرات مخلفا الدمار والشقاق، ويخمد بعد ذلك ليبقى مصدر قلق يهدد كافة المجتمع.

وفي الآونة الأخيرة ومع تغول حزب الله في الداخل اللبناني، اصبح أهل السنة في مآزق ومحن ذات طابع سياسي و وجودي، يعلق الدكتور رضوان على هذا الحال لأهل السنة في لبنان بقوله :" عانى المسلمون السنة في لبنان منذ أواخر الأربعينات. .. في مناطقهم بالبلاد العبء الأكبر للجوء الفلسطيني في أعوام 1948 و1967 و1970 – وتحملوا في السنوات الأخيرة العبء الأكبر للنزوح للسوري. وفيما بين هذين النزوحين تحملوا الاغتيالات وأعمال القتل والتهجير من جانب مواطنيهم وجيرانهم لزعمائهم وشيوخهم وسياسييهم وأهل الرأي فيهم. ومع ذلك، فإنهم ظلُّوا أهلَ الجماعة والوفاق والمودة والتواصل، وأهل الدولة والعيش المشترك."[8] . وهذا يُظهر حقيقة الضعف السني الحالي —من وجهة نظر الدكتور رضوان– رغم كل التضحيات والتنازلات لأجل الوحدة اللبنانية.

والدكتور رضوان في الشأن اللبناني يعتبر الضليع الخبير فكونه قد عمل في المكتب السياسي لتيار المستقبل الممثل لأهل السنة بلبنان–في فترة سابقة– أعطته قدرة على المتابعة والنظر والتحليل الذي يتجاوز ظواهر الأمور، وفي تعليق له على الأوضاع بلبنان ومستقبل أهل السنة قال لصحيفة المستقبل "أننا نستطيع حماية لبنان"، موضحا أن "حمايته الرئيسة والباقية ان لا يتدخل حزب الله في سوريا والعراق، وأن

[8] انظر : مقاله المسلمون في لبنان بين الفتنة والمحنة ، 5 سبتمبر 2014 العدد 13065الشرق الأوسط.

نحفظ أمننا من اغراءات يمكن ان تحصل واستثارات لدى الشباب السنة بسبب الضغوط الشديدة عليهم المعنوية والمادية فيُجنّد لذلك". وعلّق في حديث إلى تلفزيون "الجديد"، على وجود تنظيم الدولة الإسلامية "داعش" في لبنان، مشددا على أنه "ليس هناك تنظيماً (سنيا) على الارض في لبنان يتولى التحشيد والتجنيد والتدريب والتنظيم، كلهم متسربون من الخارج حتى اللبنانيين منهم يتلقون اوامرهم من الخارج ". وحذّر من "الحيوية الجديدة، والتي ارى انها نشرت بطريقة من الطرق اكثر من 40 شخصاً في الداخل اللبناني في بيروت وغيرها بحجة مكافحة حزب الله"، لافتا إلى أنه "لو استطعنا ان نعيد الثقة بين السنة ومخابرات الجيش والسنة والامن العام لاتقينا 90% من هذه الشرور"[9].

ففي عبارته الأخيرة تصريح واضح أن أهل السنة بلبنان لم يحسنوا التفاهم والتواصل بين أهم أجهزة الدولة، ما جعلهم في ركن الاتهام الدائم بالفتن داخل لبنان، في مقابل الاستحواذ الكبير الذي يسيطر عليه حزب الله في مقابل تقلص الدور السني سياسيا واقتصاديا وعسكريا في لبنان.

[9] تصريح في جريدة المستقبل اللبنانية الإثنين 30 حزيران 2014 – العدد 5077 – صفحة 2.

ملاحظات عامة :

1- يناقش الدكتور رضوان السيد مشكلات العالم الإسلامي بمنظور أكبر من تأطير فكره على أهل السنة فحسب، كما أنه أنشغل في أهم كتبه بالتحليل الموضوعي للنص السياسي الإسلامي ونقد التجارب الفلسفية المعاصرة ذات النزعة الصراعية التاريخية (العروي) وبين النزعة البنيوية السيميائية (اركون)، ثم انهماكه الشديد في نقد التجارب الاحيائية الحركية ذات الطابع السياسي، والمتأمل في فكر الدكتور رضوان يعلم أن جل اشتغاله كان في الماضي الوسيط وتفكيك الإشكاليات المتجذرة في العلاقات المعاصرة بين الدين والسياسة، ورجل الفقه برجل الدولة، والنص بالواقع ،والشريعة بالتاريخ ، وهذا واضح في كتبه.[10]

ولكنه يحمل معطى نقدي مهم أنه لم ينظّر للمستقبل ولم ينشغل برسم الاستراتيجيات القادمة للاجتماع الإسلامي (جماعة ودولة واصلاح)؛ بل جعل نصب عينيه تفكيك وقراءة الحالة السياسية الماضية واسقاطاتها الواقعية، غير تخوفاته التي ذكرتها في صدر الورقة وانشداداته التأصيلية في المقارنة مع التأسيس الذي تعمق الخلل فيه كلما زادت مشكلات الأمة وتفاقمت حروبها وأزماتها.

2- يظهر في أكثر كتابات الدكتور رضوان الهمّ الإصلاحي ، والبحث عن المخرج من أزمات الأمة مع تحليل عميق لخطاب أغلب التيارات الإصلاحية ، وغالبا ما ينادي بضرورة الرجوع إلى جذر الخلل وهو قراءة النصوص والاجتهادات والتجارب بطرق كاشفة وهادئة، مع نقد لتحويل الإسلام الجامع إلى تكلات

---

[10] انظر : الصراع على الإسلام : الأصولية والإصلاح والسياسات الدولية ، بيروت ، دار الكتاب العربي 2004م ، وكتاب الإسلام المعاصر : نظرات في الحاضر والمستقبل ، بيروت دار العلوم العربية 1986م ، وكتابه المشهور الأمة والجماعة والسلطة ، بيروت ، دار أقرأ 1984م ، وكتابه الجماعة والمجتمع والدولة ،بيروت ،دار الكتاب العربي 1997م)

أو جزر بمسميات مختلفة (اسلام ليبرالي ،أرثوذكسي، تنويري ، وغيرها) ،كما أنه دائما ما يؤســـس حلوله لمدى أطول من خلال منهجية القراءة والتحليل والفهم الشمولي والنقد المعرفي للفكر الديني، ويعتبره مفتاح الإصلاح المجتمعي بكافة مجالاته، وهنا ألمس أن الدكتور رضـوان له تصـوره المسـتقبلي من خلال إعطاء المفاتيح وليس لأجل أن يقوم بفتح أبواب المستقبل الموصدة.[11].

3- قراءة الدكتور رضــوان للواقع الإســلامي والفكر الديني غالبها ما يُعنى بتلمس نواحي الخطأ والخلل، أي الجـانـب النقـدي للظواهر والرؤى، وهـذا هو هم واجب المثقف العضـوي كما يقول غرامشـي، ولكنه في أكثر الأحوال أصـبح كما يصفه بعض المتابعين له، صاحب منظار قاتم لكل التجارب الإصلاحية السنية وأوصاوفه لها سلبية للغاية، بينما التجارب السياسية الاستبدادية لم تجد هـذا الاهتمـام العميق من النقـد في مقـابـل نقـده وكتـاباتـه تجـاه التيـارات الإسلامية.

4- وهنا أســأل: هل الدكتور رضــوان الســيد في دفاعه عن اهل الســنة يوصــف بالطائفي؟

لا أظن أبدا أن الدكتور رضوان يتناول المذهب والطائفة الدينية في مجمل نقده للشيعة أو للدروز أو غيرهم أو يتعامل سياسيا مع هذه المكونات وفق المنظار الطائفي؛ بل كان دائم التحذير من البُعد الطائفي حتى عند البحث والتعليق على الأحداث، وتركيزه في غالبه على الإحيائيين السنة والشيعة، كونهم سبب الشـرور التي حدثت في المنطقة قبل الربيع العربي وبعده، ومن ثمّ نجد أن هناك توازيا في الطرح والنقد يشمل أي توظيف سياسي للطائفة ،أصاب هذا النقد

[11] انظر : الجماعة وتحولاتها في فكر رضوان السيد ، لمؤلفه شمس الدين الكيلاني ، بيروت ، الشبكة العربية للأبحاث والنشر 2009م 15-20

السـنة والشـيعة ، وفي كتاباته حول الأمة والجماعة يظهر بوضـوح دعوته للإسلام العام، الإسلام الأول الذي كان يجمع ولا يفرق ويوحّد ولا يشتت .

5- يؤخذ على الدكتور رضـوان قلة المواقف الناقدة للتأثير الغربي سـياسـيا وثقافيا واقتصـاديا في مشـكلات العالم الإسـلامي ،وأنه في جلّ أعماله ظهر ناقدا للداخل السـني أكثر من تأثير القوى العالمية الخارجية ، وفي ظني أن الدكتور رضـوان له تشـخيصـه حول التدخل الغربي في اشـعال أزماتنا، ولكنه بصـفته النقدية وطبيعته كمفكر، حاول البحث عن الجذور المؤدية لهذا الإشكال بيننا وبين الغرب، ولم يرمِ كل المصـائب على الطرف الآخر الذي لن يقدم شـيئا لواقعه المعاصـر؛ بل حاول التعمق في بحث جذور هذه الصـلة المتوترة مع الغرب، فوجدها في عدم وجود رؤية مناسـبة للعالم ،ليس بالمعنى النظري فحسب ؛بل وبالمعنى الاستراتيجي والسياسي أيضا ، وأن هذا القصور هو الذي يوقعنا في فخ هنتغتون ونظرته الصـدامية، يقول :" إنني أرى أن هذه الأمور كلها تتعلق بشـكل أو بآخر، أو بدرجة أو بآخرى برؤية العالم، أي بعلاقتنا به، ومصالحنا معه ودورنا فيه، ويقتضي ذلك منا عملا معرفيا دؤوبا، ومتابعة مصممة ومتبصرة ، ونزوعا نقديا مسؤولا في النظر للأمة ومصائرها ومستقبلها، والأمر صعب بسبب اليأس والإحباط، ونزعة الهروب للأمام، ولكن الرهان يبقى على قدرات النخب على التجديد وإدارتها المشـتركة في صنع مستقبل آخر" [12].

وأخيرا ..أحببت التأكيد أن الورقة هي مجرد إشارات عامة لقضية حساسة برز فيها الدكتور رضوان السيد كشخصية علمية قامت بتفكيك البنية المتطرفة لدى اهل السنة في العالم العربي،

[12] انظر : الصراع على الإسلام :الأصولية والإصلاح والسياسات الدولية ،بيروت ،دار الكتاب العربي ص 29.

وقدمت مقاربات فكرية وسياسية لاجتماع الكلمة ليس وفق الإطار السني فحسب؛ بل لكل المكونات اللبنانية، ولا يزال هذا المفكر العظيم يقدم الحلول والرؤى العلمية لرصد المخارج التي يمكن أن تكون حلولا لأزماتنا العربية الراهنة.

كما أضيف أن طرح أفكار الدكتور رضوان يمكن أن تكون في مجلدات وقد سبق أن تم هذا العمل .[13]ونحتاج مثلها بشكل مستمر، ولكن يكفي القلادة ما أحاط بالعنق، ولم أعد أرى أن التطويل مجدي في بعض الاطروحات الفكرية؛ فكلما كانت أكثر تركيزا ومباشرة في الموضوع كانت اهم للقارئ العربي اليوم.

[13] انظر على سبيل المثال: كتاب الأمة والدولة والتاريخ والمصائر، دراسات مهداة لرضوان السيد بمناسبة بلوغه الستين، الصادر عن الشبكة العربية للأبحاث والنشر. سنة 2012م.